

1. نقد الحداثة الغربية أم نقد التقليد العربي؟ إذا تجاوزنا التحديدات اللغوية والصطلاحية الكثيرة للكلمة والتي تصب في كون الحداثة نمط حضاري للحياة؛ نمط تفكير أوال كما يؤكد جان بودريار، ونمط سلوك في الواقع اليومي، حركة كاسحة لمكانيا وذاثة قدرة خارقة "أخالق شرعية للتغيير، متخلية عن القديم. على الانتشار أفقيا وعموديا، ومسلسل مفتوح على جميع الاحتمالات وممتد إلى امستقبل الالمتعين، يحدد ما يريد، يمحو السحر عن العالم ويمارس سحرا جديدا، فإن طه عبد الرحمن يرى بأن التهويل من هذا المفهوم وتصنيها وتوثينه ال يفيد كوني مشترك بين جميع الأمم) معاني الحداثة (وبين تطبيقاته النسبية واملتعددة) (أواني الحداثة) التي تختلف باختالف والتاريخية، وبين الواقع التنزيلي لاملتعدد واملتجدد، أي أن الستواء في الروح ال يفيد الستواء في التطبيق. بناء على ما سبق انصب النقد الفلسفي للحداثة عند طه عبد الرحمن على نقد التقليد العربي لنمط الحضارة الغربية، والتحذير مما طال هذه الأخيرة من آفات منهجية ومعرفية وأخالقية، موضوعات الهوية والعقيدة والعقل وغيرها، الكتابات امستشكلة ملو موضوعي الحداثة وما بعد الحداثة. وهو إسهام نقدي على وجه الخصوص، خبير بقضايا الفلسفة الغربية الحديثة واملعاصرة، من امسللمات الفكرية التي انطلق منها طه عبد الرحمن في نقده لواقع الحداثة الغربية وبالتالي نقد دعوى النعتاق عبرتقليدها أ. مسلمة الهوية الأخالقية للإنسان: ومقتضاها أنه "ال إنسان بغير أخالق"، فإذا سقطت أخالقه سقطت إنسانيته، الناس بتراتب أخالقهم، على غرار مذهب ابن خلدون القائل: "إذا فسد النسان في قدرته على أخالقه ودينه، إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة" الحداثة الغربية في تطبيقها الغربي التي سلخت النسان من هويته الأخالقية وألبسته هوية عقالية مجردة. ب. مسلمة املرجعية الدينية لأخالق: ومقتضاها أنه "ال أخالق بغير دين" يؤسسها مباشرة بالوحي أو بطريقة غير مباشرة عبر اقتباسها منه والقياس عليه دون الحالة إليه، قص ي من اهتمامها الوحي والألوهية والروح والغيب واملطلق. التصورات لتي تربط الأخالق بالعقل (إيمانويل كانط)، أو تقدم الأخالق على الدين (دافيد هيوم)، لإنسان بوصفه "الكائن الحي املتدين" سواء اعترف بتدينه أو ادعى النسالخ عنه متسترا عما يوصله به. وبناء على ما سبق يجدر بكل أمة أن تصنع حداثتها من داخلها وال تستوردها من خارجها، التطبيقات ال ينتج وضعها يضاهي وضع الآخرين، يقول طه: "ال حداثته ال بصدورها من الداخل، ال بورودها من الخارج، عو إل معوجود البداع، ال معوجود التباع، سة الغربية الحديثة فهم يجهلون - في نظر طه - خصوصية التطبيق الغربي في مقابل عاملية الأخالق السالمية ذات الأبعاد املؤ أي هو تخيير بين تقليد وتقليد. ناهيك واملتغير، عن كونها استجابة ملا يريده الغرب ويسعى جاهدا إلى ترسيخه هو تدويب الثقافات الأخرى ودمجها في الثقافة المعيارية الغالبة، نصب نفسه قاضيا على جميع الحضارات الأخرى معتبرا أن املسار الذي يقول روجيه غارودي بهذا الصدد: "يطمع الغرب بأن ي اتبعه هو مثالي وهو الوحيد املمكن، وبأن يقرر، انطالقا من هذه النظرة بأن شعبا ما أو حضارة أو علما أو تقنية هي "بداية"، نستنتج أن هذه الحداثة املتصلة بالدين أو "الديانية" تتأسس على الأخالق السالمية بوصفها أخالق عاملية وحركية وعميقة سة على امليثاق اللهي الأول الذي "أخذ الشارع الأسمى من العقال وعقولهم" وهو الوارد في القرآن الكريم "وإذ أخذ رب والسطحية التي تولدت بفعل سيطرة النموذج الغربي للحضارة وما يتصل به من تفوق تقني وعسكري وثقافي يتم توظيفه في 10 املمثلة في التقليد. وتتضاعف الفتنة إذا انضافت إلى ما سبق الغراء حتى يتحقق الفتتان به، آفة املاحاصرة الذاتية والتي تتمثل في وقوع الفكر السالمي املاعاصر في آفة "التسييس" املمسلخ من الأخالق بدل "التأنيس" نخلص هنا إلى أن طه عبد الرحمن ينتقد الحداثة الغربية في شكلها ال في روحها، سعيم من أجل ذلك، مثلما ال يفوته أنه ال يمكن خلق حداثة خاصة بنا، ولو بذل الناس و نستفيد فيها من غيرنا، كما يؤكد ذلك العروي أيضا بقوله "إن خلق ثقافة منا ولبنا وحدا، طبعام حفظ الفارق بين العروي الذي يدعو إلى القطيعة التامة مع التراث العربي السالمي وتقليد الغرب، أن عالقتنا بالتراث ال تنفك حتى ولو حاولنا القطع مع تراثنا فإننا سنرتمي في تراث غيرنا. ناهيك أن املاض ي على ضربين؛ ميت وماض ي حي، الأول هو ماض ي الوقائع والثاني هو ماض ي القيم، والعبرة في القيم عموما بإنتاجها ال بقدماها أو حدوثها. وللدكتور سعيد خالد الحسن تنبيه دقيق في املوضوع في إطار مفهوم املدركات الجماعية للأمة والتي تبلورت عبر تاريخها الطويل، أحمد الفراك سؤال الحداثة يقول: "املقصود بتجديد املدركات ليس العمل على تجاوزها أو إحداث قطيعة معها أو محاولة تغييرها، 2. الحداثة بين وحدة الروح وتعددية الصورة: عمل طه عبد الرحمن في كتابه "روح الحداثة" على إعداد جواب أ. ألمم؟ هل توجد حداثتدون التعلق بامللاض ي الذي يحسب استمرارا؟ أليست الحداثة ألوربية رجوعا وتجزرا في املاض يمن أجل في إطار الجواب عن هذا السؤال يرى طه عبد الرحمن بعد نقده لنمطي املقلدة من املمتقدمين واملتاخرين أن "الحداثة ليست هي وهي" ليست سوى ظاهرة تاريخية عارضة، تقليد الغير في قوله وفعله، وإنما التيان بما يضاهي ما عند الغير، . حدثت الحداثة عبر مراحل زمنية وأحداث فعلية ومنطق والظواهر كما تأتي تفنى، للتاريخ ال يحترم إرادة النسان، لتظهر غيرها بعدها وتخضع لنفس الصيرورة 15، وهكذا دواليك،

املعاصرة قد ظهرت متصلة بالعقلانية والليبرالية، فإنه بإمكان الفكر السالمي العربي أن يصنع جوابه وينتج حادثته بإبداعه، سقطون مفاهيمهم التراثية بدءاً من إبداع مفاهيمه وتجديد آليات تفكيره، قاطعا مع التقليد بنوعيه: تقليد الملتقدمين الذين ي على مفاهيم (الغرب) و"يتبعون ما أبدعه السلف من غير تحصيل الأسباب التي جعلتهم يبدعون ما أبدعوه"16، سقطون مفاهيم (غيرهم) (الغرب) على مفاهيمهم، ه الغرب من غير تحصيل الأسباب التي املتأخرين الذين ي إن الحادثة التي يبشر بها الدكتور طه هي حادثة داخلية بروح أخالقية بديلة وتجليات إيمانية جديدة تعيد الاعتبار للمعنى همعنوي بديلة عن الحادثة ذات التوجه والغاية من وجود النسان وسعيها ملتعدد في مجالت ال عد املادي التي يعرفها املجتمع الغربي؛ فالرأي الذي نرتضيه هو أن الحادثة عبارة عن إمكانات متعددة، مع العلم أن حضارة هذه الحادثة هي "حضارة ناقصة عقل وظاملة قوال ومتأزمة معرفة ومتسلطة والدليل على إمكان تعدد الشكل مع الحفاظ على وحدة الروح هو تعدد التطبيقات في الغرب نفسه، التجارب رغم ما يوقفنا من قواسم مشتركة للحضارة في مجموعها، أي أن "املشهد الحداثي الغربي ليس بالتجانس املظنون، فيه من التنوع ما يجوز معه الكالم عن حداثات كثيرة، طري (فرنسية، أملانية) (اقتصادية، سياسية). (رغم الشترك في التاريخ واملصير. في الشكل مع وحدة التاريخ واملصير ال يمنع -ومن باب أولى- من الختالف في التطبيق مع الختالف في التاريخ واملصير. هناك حادثة غير إسامية واقعة أفال يمكن بناء حادثة إسامية متوقعة؟ على خالف بعض رواد الفكر العربي املعاصر) أركون، العروي، الجابري. وترديد خطاب الحادثة وتعريب نصوص مفكري الحادثة والزعم بأن النموذج الغربي الحديث يتصف بالحمية والكونية والكمال ال يتقدم باملجتمع العربي والسالمي خطوة في طريق الحادثة املطلوبة املرغوبة، التسلط والتبعية والاستعباد. لذلك ينبغي التمييز بين الروح والصورة الواقعية، واتي أصول مجالنا التداولي الذي هو "جملة املبادئ والقواعد العامة التي تضبط العقيدة واللغة واملعرفة والتي يشترك في . فما الفرق إذن بين الروح والتطبيق؟ التسليم والعمل بها ك ل املتتسبين إلى املجتمع"22 وهي روح عاملية وإنسانية ليست "من صنع املجتمع الغربي الخاص، صنعا لاملجتمع انساني فيمختلف أطواره، إذن أسبابها تمتد بعيدا في التاريخ انساني الطويل؛ كنتها أن تتحقق بوجوه أخرى في مجتمعات أخرى تلوح في آفاق مستقبل انسانية" فهذه الدعوى إذن تؤكد استواء يبقى في م ل انسانية فيا النسب إبال تاريخ وبالتالي إالروح الحادثة باعتبارها م لكا للبشرية التي تستفيد من تاريخها لتشييد عمرانها، الرخاء املتتركبين أللم لطالبه بشروطه وضاوابطه. ب. "واقع الحادثة": وهو النجاح املحلي والخاص الذي تصنعه كل أمة في إطار مقومات مجالها التداولي24 وتجويده. أما التطبيق الغربي وهو واحد من التطبيقات الواقعة في زماننا، بشريا وتطبيقا نسبيا لروح يمكن أن تتعدد تطبيقاتها وتتنوع أشكالها. وليست حادثة واحدة كما يتوهم البعض. أليس من الحق العربي في الختالف الفكري تحديث تفكيرهم ونمط حياتهم؟ ثم أليس من الحق السالمي القدار على إبداع حادثة إسال مية تخرج الأمة من سجن التقليد والاستتباع إلى فضاء التجديد والبداع؟ رغم نقده للحادثة فطه ال يدعو إلى الكفاءة على الذات والارتداد إلى املاض ي وال النغالق عن الغير ونكران الخير، الواقع العربي والسالمي الذي نعيشه اليوم ال هو أبداع حادثته الخاصة وال هو نقل الحادثة الغربية في شكلها الحاضر، طه: "واقعنا الحالي ليس تطبيقا لروح الحادثة، وإنما يدعو إلى الانتقال من تقليد حادثة إلى إنتاج حادثة، تطبيق لتطبيق آخر لروح الحادثة، وال يمكن أن نسمي ذلك واقعا حداثيا، أو حادثة، مادام ال قبل له بإخراجنا من حالة الخلفا لتي نعيش فيها وال نكاد نبرحها إل من حيث نرتد إليها أكثر. يدعو طه إلى استصناع حادثة تتخلص من تقليد "إبداع الآخرين" وتسهم بإبداعها وتميزها في "إنشاء كونية إيمانية تعارفية لك التعاوني أل متواصلة اعتبر فيه بعض املفكرين العرب أن "التقليد وحده يساعد على الخالص من املوت التاريخي". وسؤال الخالق كسؤال وجواب يستدعي لفت الانتباه إلى ضرورة تجسير "التواصل بين خصوصية الأمة والواقع الكوني"26، يخصها لروح الحادثة يكون إضافة نوعية من حيث املرجعية واملقصدية أنه بإمكان الأمة السالمة العربية أن تظفر بتطبيق واملعنوية ما يجعلها "حادثة عاملية" تناسب تطلعات النسان الحديث واتساع آفاقه. هذه الحادثة املطلوبة ال تحصل عبر منهج القطيعة مع التراث، يقول: "النطالق من نقطة الحادثة وليس من نقطة املاض ي أو التراث، بطريقة متسامحة ومنفتحة ومرنة، وأن نقبل شيئا أساسيا يعتبر من منجزات الحادثة العقلية أل وهو نسبوية الحقيقة، إذن أن أركون ال يرى فيالدين والتراثاوما يسميهب "الحديث القرآني" و"الحديث السالمي"28 إمكانية للنهوض والتحديث، يقر بأن لحظة ظهور السالم كانت لحظة حادثة! "ألنه كان محطة تغيير وتحريك لعجلة التاريخ، م املعارف واملواقف الثقافية املكررة، وبالتالي ال التاريخ، أما اليوم فقد أصبح السالم نوعا من التراث ومن التقليد، يمكن أليشخصعاقل أن يقول بأن السالم يمثل حاليا الحادثة"29 و على عكس ذلك يرى طه عبد الرحمن "أن هذا القطع من باب املحال" مادامت الحادثة الغربية نفسها ال تدعي الانفصال عن املاض ي بقدر ما تدعي الرجوع إليه لتأسيس ذاتها، وتوفر له القيمة واملقصد والغاية. وإنما القطع املرجو هو القطع مع التقليد

الذي يمنع البداع، والجمود الذي يمنع الجتهاد. داد والعتاء من الدين والتاريخ واستثمار عطاءاتهما املتعددة في واستخراج كنوز التراث مادام لكل زمان قدراته على الاستم إصالح أحوال النسان وتشيد أركان العمران، مما يحقق أسباب الصالح في الدنيا والفالح في الآخرة. ومن وجوه العطاء والبداعستحداث حداثّة أو حداثات مقرونة تطبيقاتها السالمية بثالثة مبادئ مقترحة، كافية لجعلها راشدة وناقدة وشاملة، وهي: مبدأ الرشد ومبدأ النقد ومبدأ الشمول. أ. التطبيق الإسلامي لمبدأ الرشد الحداثي: والرشد هو حصول الاستقلال عن ألوصياء وتجاوز حالة القصور الفكري بالتعبير ترشيد أول لـ"الترجمة الحداثيّة" التي أخلت بضوابط الترجمة التّأصيليّة السكتشافية التي الكانطي. ويقصد فيه إلى ترشيدين؛ توفر للمترجم استقلال مسؤول عن النصال البداع، وترشيد ثاني لـ"القراءة الحداثيّة للقرآن" التي ما انفكتعن الوقوع فيآفات "النتقاد املنقول" للمقدس والنص والغيب، وتوجيهها إلى الرسوخ في أأخالق وتكريم النسان وتوسيع العقل. ب. التطبيق الإسلامي لمبدأ النقد الحداثي: وينطلق هذا التطبيق من التعقيل املزدوج لنظامين من أنظمة الحداثّة الغربية وهما: "نظام العوملة" الذي يريد أن يفرض قالبا صلبا ومطلقا على ألمم لتخنع وتتبع، لق الحياء جملة وأنتج واقعا بئيسا شرد فيهاالنسان عن ربه (rationalisation) وعن عقله وعن أسرته، وحصل له الانفصال في حياتهمبين ما ال يقبل الانفصال من جهة أخرى. الحداثّة هو الانتقال من حال العتقاد إلى حالة النتقاد